

زَيْنُ الْعَابِدِينَ

سيد الساجدين: قصة النور بعد الفاجعة

فجرٌ في بيت النبوة

في بيت سبط رسول الله، الحسين، أشرق نور جديد.

وُلد علي بن الحسين في الخامس من شعبان سنة ثمان
وثلاثين، حاملاً إرث أطهر سلالة على وجه الأرض.

كانت والدته السيدة شاه زنان ابنة يزدجرد، آخر ملوك
الفرس، ليجتمع فيه شرف النبوة وعراقة الملوك.

منذ أيامه الأولى، عُرف بهدوئه العميق واتصاله الروحي
بالله، وكأنّه قد خلق للسجود والعبادة.

زين العابدين، السجاد، ذو الثفنتان.



العاصفة التي غيرت كل شيء



هبت عاصفة كربلاء، وأصبح الشاب علي، الذي أنقذته علّة إلهية، الناجي الوحيد من نسل أبيه. شهد بأم عينيه استشهاد أبيه وإخوته وأهل بيته. لم تكسره هذه الفاجعة، بل صاحت رسالته الربانية. على كتفيه الآن، استقر ثقل الإمامة ورعاية السبايا من النساء والأطفال، ليبدأ رحلة حفظ الإسلام في أحلك ساعاته.

السلاح الأول: دموعٌ تُحيي الحقيقة



لعشرين سنة بعد كربلاء، كان بكاً وخطبة حية.
ما وضع أمامه طعام أو شراب إلا وبكى، قائلًا: "قتل
ابن رسول الله جائعاً! قُتل ابن رسول الله عطشاناً!"
وعندما سأله أحد مواليه إن كان حزنه لن ينقضي،
أجابه: "ويحك، إن يعقوب النبي كان له اثنا عشر
ابناً فغَيَّب الله عنه واحداً منهم، فايضَت عيناه من
البكاء... وأنا نظرت إلى أبي وأخي وسبعة عشر من
أهل بيتي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني؟"
كانت دموعه تذكيراً دائمًا بالظلم، وسلاحاً يمنع
الحقيقة من أن تُنسى.

السلاح الثاني: الصحيفة السجادية، زبور آل محمد



عندما كانت الكلمة الصريحة خطراً، اتجه الإمام إلى الدعاء.

ترك للأمة كنزاً ثميناً: الصحيفة السجادية.
لم تكن مجرد أدعية، بل كانت منهاجاً كاملاً للروح، تعلم العقيدة والأخلاق والواجبات تجاه الخالق والخلق.

في مناجاته لربه، أعاد بناء أساس الإيمان لجيل تاه في الظلام.

كانت عبادته بحد ذاتها مدرسة؛ إذا قام إلى الصلاة تغير لونه وارتعدت فرائصه، وحين شب حريق في بيته وهو ساجد، لم يرفع رأسه حتى أطفئت النار، ولما سُئل قال: "ألهتنى عنها النار الكبرى".

السلاح الثالث: يد الرحمة التي لا تُرى

في عتمة الليل، كان شخص ملثم يجوب أزقة المدينة، حاملاً على ظهره جراباً من الطعام يوزعه على أفقر بيوتها.

لم يعرف أحد هويته، وكانوا يسمونه "صاحب الجراب". لم ينكشف سره إلا بعد وفاته، حين توقفت الأرزاق الليلية، ورأى الناس عند تغسله آثاراً على ظهره "مثل ركب الإبل" مما كان يحمل على ظهره للفقراء. كان يغذى أجسادهم في الخفاء، مرحباً بمن يحمل زاده إلى الآخرة.



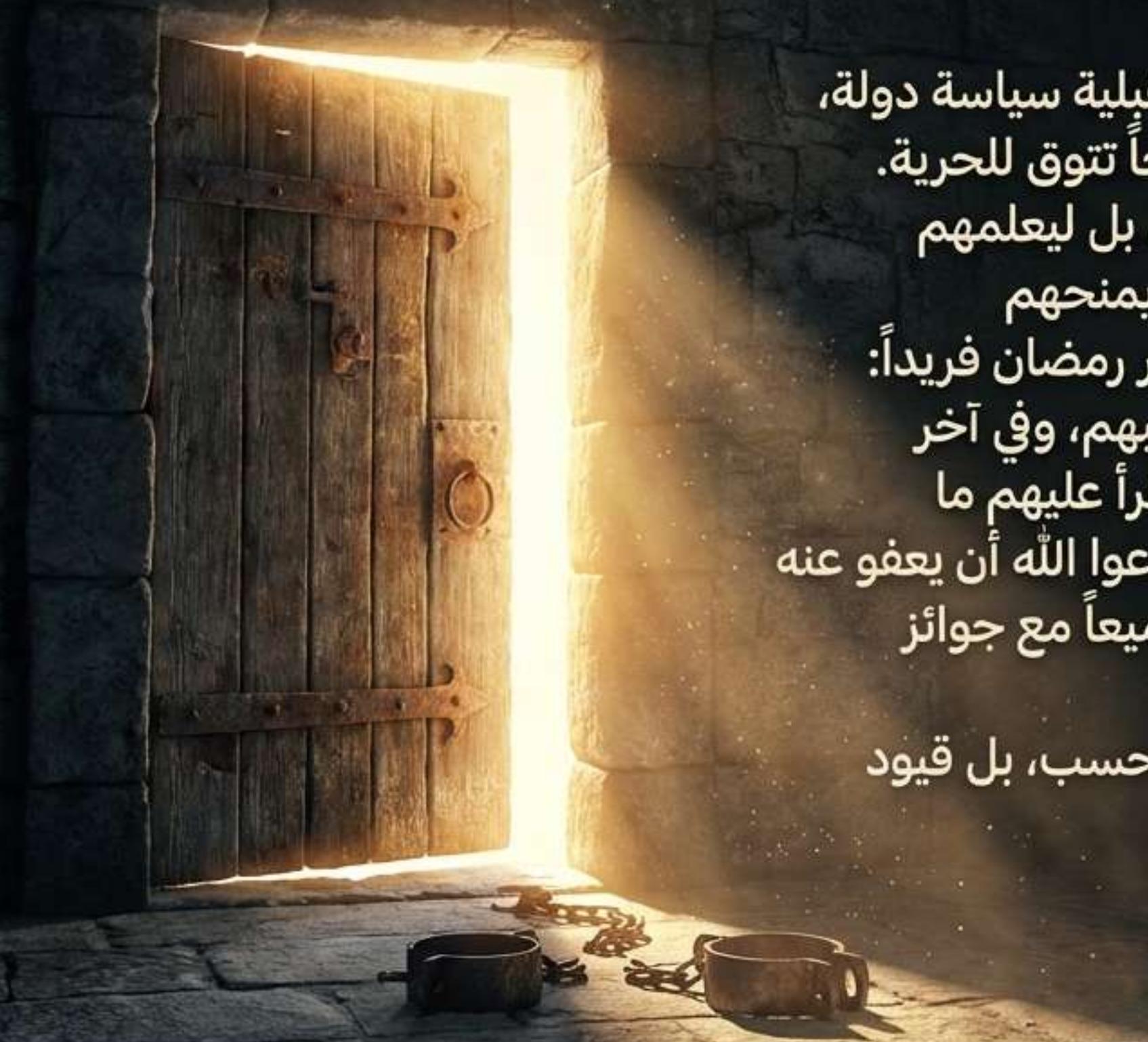
مدرسة الحلم: القوّة في العفو



قالت "والعافين عن الناس"، قال "عفًا الله عنك"،
قالت "والله يحب المحسنين"، فقال "اذهبي، فأنت حرة".
وحين قُتل خادمه ابنه الصغير خطأً، نظر الإمام إلى
الخادم المذعور وقال: "أنت حرّ، فإنك لم تتعمد".
لقد علِم أن النبل الحقيقي هو السمو فوق الأذى.

كان حلمه درعه. حين شتمه رجل في وجهه، قابله
قابله الإمام بلطف وعرض عليه المساعدة.
وحين سكت جاريته ماءً على وجهه فشحّه،
استشهدت بآية "والكافر والظميء الغيظ"،
فقال "قد كظمت غيظي".

محرر الأرواح: أبواب الحرية



في زمن كانت فيه العصبية القبلية سياسة دولة، رأى الإمام في كل مملوك روحًا تتوقد للحرية. كان يشتري العبيد لا للخدمة، بل ليعلمهم الإسلام ويهذب أخلاقهم ثم يمنحهم حرية لهم. وكان منهجه في شهر رمضان فريداً: يسجل أخطاء خدمه ولا يعاقبهم، وفي آخر ليلة من الشهر، يجمعهم ويقرأ عليهم ما فعلوا، ثم يطلب منهم أن يدعوا الله أن يغفر لهم كما هو عنهم، ثم يعتقهم جميعاً مع جوائز تعزيزهم. لم يكن يكسر قيود الحديد فحسب، بل قيود الجهل والعبودية.

حين يخاف الطغاة من النور

حتى النور الهدى لا يطاق عند من يعيشون في الظلام. كان وجوده ذاته - عبادته، وعطاؤه، وقدسيته - إدانة صامته للحكام الفاسدين. لم يتمكنوا من إطفاء نفوذه وتأثيره في قلوب الناس، فلجأوا إلى أدواتهم الوحيدة: السم. لم تكن شهادته نهاية، بل كانت الخاتم المقدس لحياة عمرت بالكامل لله، وتتويجاً لرحلة الصبر والثبات.



حتى النور الهدى لا يطاق عند من يعيشون في الظلام
كان وجوده ذاته - عبادته، وعطاؤه، وقدسيته -
إدانة صامته للحكام الفاسدين. لم يتمكنوا من
من إطفاء نفوذه وتأثيره في قلوب الناس، فلجأوا
إلى أدواتهم الوحيدة: السم. لم تكن شهادته نهاية،
بل كانت الخاتم المقدس لحياة عمرت بالكامل لله،
وتتويجاً لرحلة الصبر والثبات.

إمام للأتقياء نور لا ينطفئ

أنقذ الإمام سجاد سفينة الإسلام في أعتى عواصفها. كان حامي العقيدة، ومواسي الثكالي، وسيد العابدين. عندما رأه أحدهم يبكي في دعائه وقال له "أبوك الحسين وجدك رسول الله!", أجابه الإمام: "هيهات يا طاوس، دع عنِي حديث أبي وجدي. خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبداً جشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولداً قرشياً".

لقد علم أن المقام عند الله بالعمل الصالح والتقوى، لا بالنسب وحده.

في الدنيا والآخرة

مَا أَحْبَبَ اللَّهُ لِي بِذَلِكَ فَسِيْحَ النَّعْمَانَ

لخص الإمام فلسفته في الحياة بقوله: (لا أستبدل ذلّ نفسي وتواضعها لله بأثمن ما في الدنيا).
كان مقامه في الدنيا مقام التواضع والخدمة والسلطة الروحية التي تفوق كل ملك دنيوي.
ومقامه في الآخرة هو مقام القرب الإلهي، جزاءً لحياة من الصبر والشكر والتسليم المطلق.

زین العابدین

السلام على زین العابدین